(٧)

اللهـــو والترويـــح

بالأعمال الدرامية

obeikandl.com

obeikandl.com

الأعمال الدرامية

ومن اللهو الذي شاع في عصرنا : مشاهدة الأعمال (الدرامية) التي تعتبر من أشهر ألوان (الفن) في هذا الزمن .

وللفن في هذا العصر نفوذ وسطوة في حياة الناس ، وتأثير كبير على أفكارهم ، وعلى مشاعرهم ، وعلى سلوكهم .

وإذا كانت العبادة غذاء الروح ، والثقافة غذاء العقل ، والرياضة غذاء الجسم ، فإن الفن غذاء الوجدان .

ولا يمنع الدين من غذاء الوجدان إذا كان الغذاء بما لا يمرضه ولا يؤذيه ، أما إذا غذي بغذاء مسموم أو فاسد أو منتهي الصلاحية ، أو اختلط بشيء فاسد أو ملوث أو مشع ، فهنا ينقلب المباح إلى محرم ، صغير أو كبير ، حسب درجة الفساد والخطر فيه .

ومن أبرز الأعمال الفنية في عصرنا ما يسمى (الدراما) وهي الأعمال التي تمثل قصصا حقيقية أو متخيلة في الحياة ، ويعبر عنها في صورة مسرحية أو تمثيلية أو (فيلم) أو مسلسل . فما حكم هذه الأعمال من الناحية الشرعية ؟

بعض الناس يحرم هذه الأعمال من الأساس ، لأنها في نظره تقوم على الكذب ، باختراع قصص وأشخاص ومواقف ينطقها بكلمات ، ويحركها في مواقف ، وينسب إليها أعمالا ، وربما لم يكن لها وجود قط .

ولكن اعتبار هذا كذبا غير مُسَلَّم ، لأن المشاهد والسامع يعرف أن هذه أشياء من صنع المؤلف ، كما اخترع العرب أمثالا وكلمات ومواقف على ألسنة الحيوانات والطيور ، بل الجمادات ، ولم يقل أحد : إن هذا كذب .

بل جعل بعض المفسرين [1] من ذلك مثل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ**

---

(١) انظر : تفسير الآية فى الكشاف للزمخشري (٣ / ٢٧٦ ، ٢٧٧) ط . دار المعرفة ، وتفسير أبي السعود (٤ / ٣٢٣ ، ٣٢٤) ط دار الفكر ، وحاشية الشهاب على البيضاوى (٧ / ١٨٧) ط . المكتبة الإسلامية . تركيا .

عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ ﴾ [الأحزاب:٧٢] فجعلوه من باب الاستعارة التمثيلية ، أو التصوير الفني كما سماه سيد قطب .

والمؤلف قد يستنطق موقف الشخص ، فيتكلم على لسانه بما يفترض أن يقوله مثله في هذا الموقف ، كما وجدنا القرآن يتكلم على لسان النملة ، وعلى لسان الهدهد بما يتصور أن يقوله كل منهما ، وإن لم ينطقا بهذا الكلام العربي المعجز ، كما ذكره القرآن الكريم .

ومن الناس من حرم هذه الأفلام والمسلسلات ونحوها من الأساس ، لأنها تقوم على (التصوير) ، والتصوير عنده حرام [1] ، ولو كان تصويرا (فوتوغرافيا) كما يسميه أهل الخليج (العكس) ، أو كان تصويرا (تليفزيونيا) مما يجسد (خلق الله) وليس مضاهاة لخلق الله ، كما جاء في بعض الأحاديث .

فمن كان يرى التصوير حراما ، حرم كل ما يظهر في التليفزيون حتى نشرة الأخبار ، بل حتى الأحاديث الدينية .

ومنهم من يحرمها ، لوجود المرأة فيها ، والمرأة كلها عورة ، وجهها عورة ، وصوتها عورة . في حين أن جمهور العلماء لا يرون وجه المرأة وكفيها من العورة ، ولا يرون أن صوتها عورة ، إلا ما كان فيه خضوع بالقول ، أي تكسر وتميع وقصد إلى الإغراء ، كما قال تعالى : ﴿ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً ﴾ [الأحزاب:٣٢] .

والقول الذي أراه : أن هذه الأشياء التي يعرضها التليفزيون وغيره ، لا تعد حراما ولا حلالا في ذاتها ، إلا بمضمونها الذي تشتمل عليه ، فإن كان سليما وجيّدا ، فلا حرج فيه ، وإن كان رديئا وخبيثا ، اتجه القول إلى التحريم .

---

(١) رددنا على ذلك في عدد من كتبا منها : «الحلال والحرام» صـ ١١١ و «فتاوى معاصرة» (١ / ٧٤٠) فلتراجع .

والأمر يحتاج إلى دراسة وتفصيل ، ولم أفرغ له بعد ، وهو جدير بالبحث والدراسة ، على المستوى الفردي ، وعلى المستوى الجماعي بعقد بعض الندوات والحلقات لأهمية الموضوع ، ولا سيما أن البلوى قد عمت به ، وصار يماسي الناس ويصابحهم ، ويدخل عليهم بيوتهم ومخادعهم ، ويؤثر في كبيرهم وصغيرهم ، ولا بد من بيان ما يحل من ذلك وما لا يحل ، وإن كان الحلال في ذلك بينا ، والحرام بينا ، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس .

ومنذ عشرات السنين قامت محاولات إسلامية لإنتاج إعلامي إسلامي متميز ، وخصوصا في المجال الدرامي ، فلم تظفر بطائل ، وأقصى ما وصل إليه المحاولون هو (الفيلم الكرتوني) عن (محمد الفاتح) أنتجته شركة (آلاء) الإعلامية الإسلامية ، وقد أشرنا إليه من قبل .

كل ما نجحت فيه المحاولات الإسلامية هو الأحاديث والمحاورات والندوات ، ذلك لأن العمل الدرامي يحتاج إلى طاقات بشرية هائلة ، وأموال طائلة ، وجهود فنية مستمرة ، فهو في حاجة إلى من يكتب النص ، وإلى من يحوّله إلى سيناريو ، وإلى من ينتجه وينفق عليه ، وإلى من يخرجه ، وإلى من يمثله ويصوره ، وإلى من يسوّقه ويوزعه ، وليس هذا كله بالأمر الهين . إنه يحتاج إلى دول ، أو إلى مؤسسات كبرى ، مستعدة للتضحية والخسارة المادية في أول الأمر حتى ترسخ أقدامها .

دخول السينما :

ويتساءل كثير من المسلمين عن موقف الإسلام من دور الخيالة (السينما) والمسرح وما شابهها . وهل يحل للمسلم ارتيادها أم يحرم عليه ؟ ولا شك أن (السينما) وما ماثلها أداة هامة من أدوات التوجيه والترفيه . وشأنها شأن كل أداة فهي إما أن تستعمل في الخير أو تستعمل في الشر ، فهي بذاتها لا بأس بها ولا شيء فيها . والحكم في شأنها يكون بحسب ما تؤديه وتقوم به .

وهكذا نرى في السينما : هي حلال طيب ، بل قد تستحب وتطلب إذا توافرت لها الشروط الآتية :

أولا : أن تتنزه موضوعاتها التي تعرض فيها عن المجون والفسق وكل ما ينافي عقائد الإسلام وشرائعه وآدابه ، فأما الروايات التي تثير الغرائز الدنيا ، أو تحرّض على الإثم ، أو تغري بالجريمة ، أو تدعو لأفكار منحرفة ، أوتروج لعقائد باطلة ، إلى آخر ما نعرف ، فهي حرام لا يحل للمسلم أن يشاهدها أو يشجعها ، فضلا عن أن ينتجها أو يشارك في إنتاجها بوجه ما . لأن ذلك لون من التعاون على الإثم والعدوان .

ثانيا : ألا تشغله عن واجب ديني أو دنيوي ، وفي طليعة الواجبات : الصلوات الخمس التي فرضها الله كل يوم على المسلم ، فلا يجوز للمسلم أن يضيع صلاة مكتوبة ـ كصلاة المغرب ـ من أجل رواية يشاهدها .

قال تعالى : ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ، الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [الماعون:٤-٥].

وفسر السهو عنها بتأخيرها حتى يفوت وقتها . وقد جعل القرآن من جملة أسباب تحريم الخمر والميسر : أنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

ثالثا : أن يتجنب مرتادها الملاصقة والاختلاط المثير بين الرجال والنساء الأجنبيات منهم ، منعا للفتنة ، ودرءا للشبهة ، ولا سيما أن المشاهدة لا تتم إلا تحت ستار الظلام . وقد جاء فى الحديث : «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» [1] .

دخول المسرح :

وحكم المسرح كحكم السينما فى كل ما ذكرناه . وإن كان المسرح أقوى منها تأثيرًا ؛ لأنه يتعامل مع ذوات أشخاص الممثلين ، لا مع صورهم ، كما فى (أفلام)

---

(١) رواه البيهقي والطبراني وقال الهيثمي : رواه الطبراني رجاله ثقات رجال الصحيح (٤ / ٣٢٦) ، وذكره الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٤٥) وحسنه في «غاية المرام» (١٩٦) .

السينما والمسلسلات . ولهذا يعظّم دارسو الفن وممارسوه (المسرح) ويعتبرونه (أبا الفنون) ! ومن هنا كانت خطورته إذا كان مضمونه مخالفا أو هادما للعقيدة أو للشريعة ، أو للقيم ، أو كان الممثلون والممثلات فيه غير ملتزمين بالأخلاق المَرْضِيَّة فى أقوالهم أو حركاتهم أو أزيائهم .

هذا وقد شاركت فى الفن المسرحي بعملين : أحدهما شعري عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام . والآخر : نثري بعنوان (عالم وطاغية) أعنى سعيد بن جبير الفقيه التابعي الجليل ، وموقفه مع الحجاج الطاغية . وقد مثلت في قطر ولبنان واليمن وغيرها ، على حين لم تمثل الأولى ، لأن علماء الشريعة متفقون على أن رسل الله لا يُمَثَّلُون .

المسلسل الكرتوني (البوكيمون) :

(البوكيمون) مسلسل ياباني كرتوني ، أنتج من أجل الأطفال ، وقد انتشر في الآونة الأخيرة في أنحاء شتى من العالم ، ومنه العالم العربي ، الذي ترجم إلى لغته و (دبلج) وقُدِّم بلغة عربية فصيحة ، وهذا من حسناته . وقد تعلق به الصغار من أبنائنا وبناتنا وأمسى شغلهم الشاغل .

كما أن (البوكيمون) هي أيضا لعبة ورقية يتنافس فيها اللاعبون فيكسب بعضهم ويخسر آخرون .

وفي الأيام الأخيرة ثار حوله الجدل ، واحتد النقاش حول الحكم الشرعي فيه : أهو حلال أم حرام ؟ . وتوجه إليَّ بالسؤال كثيرٌ من الآباء والأمهات ، الذين يحرصون على تنشئة أولادهم تنشئة إسلامية صحيحة ، تَسْلَم فيها عقائدهم ، وتصح عباداتهم ، وتزكو أنفسهم ، وتستقيم أخلاقهم وسلوكياتهم .

والواجب على الفقيه المسلم : ألا يتعجل الحكم في مثل هذه القضايا قبل أن يعرف حقيقتها ، فالحكم على الشيء فرع عن تصوره ، والفقهاء عادة لا يعرفون مثل هذه الأمور ، لأنهم لا يشاهدون هذا النوع من المسلسلات ، أو اللعب ، وبخاصة

أنه صنع للأطفال . كما لا يجوز لهم أن يحكموا على هذه القضايا بما يشيع عنها على ألسنة الناس ، فكثيرا ما تكون هذه الإشاعات مبالغا فيها ، أو معبرة عن اتجاهات أصحابها ، ما بين متسيبين ومتزمتين . والمطلوب أن يكون الحكم بعيدا عن تسيب المتسيبين ، وتزمت المتزمتين .

وهنا يجب علينا أن نرجع إلى أهل الخبرة والفكر ، الذين يعرفون قضايا الفن والدراما والمسلسلات ونحوها من المؤمنين الملتزمين ، وقد قال تعالى : ﴿ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر:١٤] ﴿ فَاسْئَلْ بِهِ خَبِيراً ﴾ [الفرقان:٥٩] ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل:٤٣] .

وبالرجوع إلى هؤلاء الخبراء الذين اطلعوا على هذا البرنامج ، وتتبعوا حلقاته ، ونظروا في معانيه وأفكاره وأغراضه نظرة علمية فاحصة ، لا نظرة سطحية عارضة ، أكدوا لنا : أن فيه جملة أمور تجعلنا نميل إلى الفتوى بتحريم عرضه وتقديمه لأبنائنا وفلذات أكبادنا ، ولا سيما أنهم في سن القابلية والتأثر والتشكل ، ونحن أمناء عليهم ، ورعاة لهم ، وقد قال رسولنا ﷺ : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» متفق عليه عن ابن عمر (١) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم:٦] .

مستندات التحريم :

أولا: أنه يتضمن خطرا على العقيدة ، بتبني الفكرة الداروينية المعروفة بنظرية (النشوء والارتقاء) وتطور الأجناس والأنواع من مخلوقات دنيا إلى مخلوقات أرقى وأكثر قدرة ، حتى الإنسان نفسه تطور من أجناس أدنى منه ، حتى تطور إلى القرد ، القرد هو أقرب شيء إلى الإنسان ، ثم انتهى في تطوره إلى الإنسان .

---

(١) رواه البخاري في كتاب النكاح (٥٢٠٠) ومسلم في كتاب الإمارة (١٨٢٩) .

وهذا الفيلم أو المسلسل الكرتوني يقوم على فكرة تطور الحشرات وارتقائها ، ويتكرر فيه الحديث عن هذا التطور ، لغرسه في ذهنية الطفل بيسر وسهولة وتلقائية .

ثانيا: يتضمن خطرا على عقلية الطفل وحسن تربيته فكريا ، حيث يغرس في عقله خيالات لا أصل لها ، وأشياء خارقة للعادة ، وغير متمشية مع سنن الله الكونية ، حيث تصدر من هذه الحشرات أو المخلوقات الجديدة عجائب وغرائب ، لا أساس لها من عقل ولا نقل ، بدل أن يعرف بالحيوانات والأشياء التي توجد في بيئته ، ولا يعرف الكثير عنها . ولذا لفت نظرنا القرآن إلى مخلوقات البيئة حين قال : ﴿ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية:١٧] . والإبل أقرب الحيوانات إلى البيئة العربية ، فليتنا نوجه تلاميذنا إلى معرفة ودراسة حيوانات البيئة ، وطيور البيئة ، وحشرات البيئة ، بدل هذه المخلوقات التي تظهر بصور غريبة لا وجود لها .

ومن مخاطر هذا اللون من التأثير العقلي : أنها يمكن أن تدفع الأطفال للقيام بأعمال خيالية قد تؤدي إلى هلاكهم ، إذا استغرقوا فيها وذلك بسبب ما يشاهدونه في البوكيمون من مبالغات وأعمال خارقة ، هي في حقيقتها خيال ، وقد ذكرت الصحف الإماراتية نبأ مصرع طفلة ـ في إمارة الشارقة ـ ألقت بنفسها قفزا من الطابق الرابع ، وكادت أن تفعلها ـ بعدها مباشرة ـ أختها الصغرى ، لولا أن لطف الله بها وأدركها أهلها في اللحظات الأخيرة ، ولما سئلت البنت عن الدافع وراء محاولتها للقفز من الطابق الرابع ، أخبرتهم بأنها وأختها تقلدان أبطال البوكيمون الذين يلقون بأنفسهم من ارتفاعات شاهقة ولا يصابون بأذى !

ثالثا: يتضمن خطرا على سلوك الطفل ، وحسن علاقته بمن حوله ، حيث يتبنَّى الفيلم فكرة الصراع والبقاء للأقوى ـ وهي فكرة داروينية أيضا ـ ويدعو الفيلم أو المسلسل إلى العراك الدائم ، والعنف المستمر ، والقتال الذي تدور رحاه بين هذه المخلوقات ، التي لا تتوانى عن استخدام جميع الطاقات للفتك بالخصم .

ولا شك أن العالم كله الآن يشكو من (العنف) في الأفلام والمسلسلات ؛ حتى رأينا أثره في أمريكا في التلاميذ الصغار الذين يقتلون زملاءهم في قاعة الدرس ، رميا بالرصاص ، بغير ذنب اقترفوه .

رابعا: اشتمال لعبة (البوكيمون) على الميسر (القمار) المحرم شرعا ، والذي قرنه الله تعالى في كتابه بالخمر والأنصاب والأزلام ، واعتبره رجسا من عمل الشيطان .

فهناك الكروت التي تشترى بالعشرات أو المئات بل ربما الآلاف من الريالات أو الدراهم أو الجنيهات أو الدنانير ، وخصوصا (الكرت الأقوى) . الذي يغلب به صاحبه من يحمل الكرت الأضعف ، أو الأقل قوة . بطرق ورموز معروفة عندهم .

فإذا لم يرد الطرف الخاسر أن يفقد (كرته) فعليه أن يدفع بدلا منه قيمته ، وقد تزيد حسبما يحددها الطرف الكاسب فهو الذي من حقه أن يحدد السعر . وهذه إحدى صور القمار أو الميسر في الجاهلية حيث كان الرجل يقامر الآخر على ماله ـ وربما على أهله ـ فأيهما كسب أخذ مال الآخر ، وربما أهله حسب الاتفاق . ولمَّا جاء الإسلام واستقر التشريع حرم الميسر كما حرم الخمر ، ونزل قوله تعالى : ﴿ **إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [المائدة: ٩٠] .

خامسا: يتضمن (البوكيمون) رموزا معروفة لها دلالاتها مثل (النجمة السداسية) وعلاقتها بالصهيونية والماسونية ، والتي أصبحت شعار دولة الاغتصاب المسماة (إسرائيل) .

ومثل ذلك : المثلثات الزوايا ، وهي رموز ماسونية ، وكذلك رموز تمثل معتقدات الديانة الشنتوية اليابانية ، إلى غير ذلك .

ومن المعروف أن لهذه الرموز إيماءاتها التي تترك بصماتها في نفوس المراهقين والصغار ، ولها أثرها على المدى البعيد .

لهـذه الأسـباب كلـها أرى تحـريم هـذه اللعبـة ، ومـا بـني عليهـا مـن أفـلام ومسلسـلات ؛ حفاظا على عقول أبنائنا وعقائدهم وسلوكهم ، وكذلك علـى أمـوالهم التي أتقن هؤلاء فن استلابها منهم برضاهم ، واستدراج آبائهم وأمهاتهم للموافقة عليها .

أما ما ذكر من معان للكلمات والأسماء المتداولة في اللعبة أو الفيلم ، مثل قولهم : معنى كلمة كذا : أنا يهودي ، وكلمة كذا : كن يهوديا ، وكلمة كذا : الله ضعيف .. الخ ، فلم يثبت لنا صحة هذا ، وأنكره بعض اليابانيين في دولة الإمارات العربية وغيرها . ولا يجوز أن نبني حكما على شيء غير ثابت بأدلة علمية .

والواجب علينا نحن المسلمين : أن يكون لـنا إنتاجـنا الخـاص ، المعـبر عن عقائدنا وقيمنا وشرائعنا وأعرافنا وتراثنا وحضارتنا ، وأن يتعاون على ذلك المبدعون من أدبائنا وعلمائنا وفنانينا ، وأهل التقنية ، وأصحاب المال والسلطان فينا ، لنقدم (أفلاما) ومسلسلات كرتونية تحمل رسالتنا ، وتعبر عن شخصيتنا وهُويتنا الدينية والثقافية والحضارية ، بلغة سهلة .. فصيحة ومشوقة ، فقد استطاع مترجمو هذا المسلسل أن يترجموه إلى العربية بلغة فصيحة سلسة ومفهومة . وهو ما يجب أن نحرص عليه فيما نقدمه إلى أطفالنا ، حتى ينشأوا محبين للغتهم ، ولدينهم وتراثهم .

أسأل الله أن يوفق الواعين والنابهين والمخلصين من أبناء أمتنا إلى تحقيق هذا الأمل ، وما ذلك على الله بعزيز .

الملاحم الشعبية :

ومن الوسائل التي استخدمها الناس للإمتاع والتسلية : الاستماع إلى : (الملاحم الشعبية) المعروفة ، التي يتجمع الناس لسماعها من قصاص يقصها ، أو شاعر شعبي يحكيها ، يترنم بالأشعار المحكية على ألسنة الأبطال ، مستخدمًا آلة (الرّبابة) وهذه الأشعار ليست بالفصحى ، ولكن بلغة شعبية عاميّة مأنوسة .

وقد عرف الناس من ذلك : (سيرة بني هلال) وخصوصًا فارسهم المشهور بالحكمة والحيلة ومكارم الأخلاق : أبي زيد الهلالي سلامة . وما جرى له من وقائع ومفاجآت في مسيرة حياته الحافلة بالحرب والسلم والأسر ، والتعرض للمخاطر والمضايق والخروج منها .

وقد كان هؤلاء الشعراء القصاصون يفعلون ما يفعله الآن مخرجو المسلسلات في حلقات ، حيث يقفون بالحلقة عند مقطع مثير ، حيث يكون البطل في مأزق يحتاج إلى الخروج منه ، أو في أسر كيف يفك منه .... أو نحو ذلك .

وهذه الملاحم الشعبية ـ مثل : سيرة عنترة بن شداد ، وسيف بن ذي يزن ، والمهلهل بن ربيعة (الزير سالم) وغيرها ـ تلقّاها الناس بالقبول ، ولم ير العلماء حرجًا في الاستماع إليها والتفرج عليها ، وإن كان فيها بعض المبالغات .

ولكنها مشحونة بذكر الله تعالى ، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ ، والتنويه بالفروسية الحقة ، والبطولة العسكرية والأخلاقية ، وتشجيع الناس على التأسي بها ، والاقتداء بأصحابها . وفي كل هذا فائدة وذكرى وموعظة للمؤمنين ، وعبرة للمعتبرين .

* * *